الظواهر اللغوية: (الإعراب، والترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد)

اشتهرت اللغة العربية بمجموعة كبيرة من الظواهر اللغوية التي شاعت وانتشرت بين نصوصها، واتخذها النحاة واللغويون أداة للتحليل اللغوي، وسبر أغوار اللغة، وتذوق النصوص اللغوية المختلفة.

ومن الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها اللغة العربية: (الإعراب، والترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد).

١. الإعراب

الاعراب -في اللغة- هو **الافصاح والتبيين**. اما في الاصطلاح فهو **اثر ظاهر او مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة**.

ويعد الاعراب من اشد خصائص العربية وضوحاً، ومراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة، فالحركات الملحقة في آخر الكلمات هي المعيار الذي تحتكم اليه الجملة العربية للتوفيق بين المعاني التي تؤديها.

والاعراب -وان كان ظاهرة قديمة في لغة العرب- تذكره كتب اللغة بأنه بدأ مع ابي الاسود الدؤلي حين بدأ بإعراب القرآن الكريم.

ان قضية الاعراب قضية قديمة، وهي موجودة في اللغات الجزرية القديمة وبخاصة تلك التي كانت تستعمل المقاطع كالبابلية والآشورية، وقانون حمورابي فيه اعراب كما هي الحال في العربية، فعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة، والمثنى يرفع وتكون علامة رفعه الالف، وينصب ويجر وتكون علامة نصبه وجره الياء، وجمع الذكور يرفع وتكون علامة رفعه الواو، وينصب ويجر وتكون علامة نصبه وجره الياء، كذلك توجد حالات الاعراب في اللغة الحبشية.

ان وجود ظاهرة الاعراب في هذه اللغات دلالة بينة **تنبئ عن اصالته في اللغة العربية**، ومن يتأمل كتب النحاة يجد انهم أجمعهم -ما عدا قطرب- يرون ان حركات الاعراب تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الاسماء من فاعلية او مفعولية او اضافة او غير ذلك، اما قطرب فيرى ان الحركات انما جيء بها للسرعة في الكلام وللتخلص من التقاء الساكنين في درج الكلام، وقد ردّ عليه النحاة انه لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ونصبه أخرى وجاز نصب المضاف اليه؛ لان القصد في هذا انما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام.

ويرى برجستراسر ان الاعراب ظاهرة تشمل اللغات التي تكلمت بها شعوب الجزيرة، ويرى يوهان فك ان العربية تتسم بسمة تعد من اقدم السمات اللغوية ألا وهي سمة الاعراب التي تدل على اصالة هذه اللغة.

ومهما يكن من امر فإن للإعراب علاقة وثيقة بالمعنى، ولم يكن مجرد حركات وصل بين الكلمات، وقد وصلنا القرآن الكريم معرباً، وقرأه الرسول الكريم (ص) معرباً، وان الرسم القرآني نفسه يؤيد وجود الاعراب.

وللإعراب دور مهم في تكوين الجملة، ولو فقد الاعراب للزم ان تكون الجملة على نظام واحد.

٢- الترادف

الترادف -في اللغة- هو ركوب أحد خلف آخر، يقال رَدِفَ الرجلُ وأردفه أي ركب خلفه. والترادف -في الاصطلاح- ما اختلف لفظه واتفق معناه، أو هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد، مثل: أسهب وأطنب وأفرط وأسرف وأغرق بمعنى واحد.

وفكرة الترادف قديمة إذ جاءت قبل ظهور هذا المصطلح عند سيبويه (ت١٨٠هـ) قال: ((هذا باب اللفظ للمعاني: اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه، من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة)) وواضح من قول سيبويه أن اختلاف اللفظين والمعنى واحد أنه يقصد المترادف.

ومن أمثلة المترادف وهو تسمية الشيء بأسماء مختلفة نحو: أسد، ليث، ضرغام، عباس، سبع، قسورة، حيدرة. ومثال: سيف، قاطع، حسام، مهند، أحدب، اليماني.

وقد انقسم العلماء بإزاء هذه الظاهرة على قسمين:

أحدهما: وهو القسم الأكبر، أيّد وقوع الترادف، وهم أغلب علماء العربية، غير أن بعضهم بالغ في هذه المسألة، فقد ذكروا أن للسيف ألف اسم، وللأسد خمسمائة، وللحية مائتين، وللخمرة أربعين، وللعسل ثمانين اسماً.

والآخر: وهم الذين رفضوا ظاهرة الترادف ملتمسين فروقاً دقيقة بين الألفاظ المترادفة، وعلى رأسهم ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ). من ذلك (قعد وجلس)، فالقعود من القيام. والجلوس من النوم و(قام ونهض) القيام من القعود والنهوض من الاستلقاء، فهو يرى ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى من المعاني فإن في كل واحد منهما ما ليس في صاحبه ربما عرفنا فأخبرنا به، وربما غمض فلم نلزم العرب جهله))، وكذلك أبو العباس ثعلب (ت٢٩٠هـ) الذي يرى في كتابه (الفصيح): ((أن كل ما عدّ من المترادفات إنما هو من المتباينات)). ومن هؤلاء أبو علي الفارسي الذي يرى في المترادفات أن أحدها الاسم والباقي صفات له وليس أسماء فليس هناك ترادف فكلمة (السيف) يراها اسماً وبقية المترادفات صفات، مثل الحسام والصارم وغيرها.

أسباب حدوث الترادف

١- انتقال كثير من مفردات اللهجات العربية الى لهجة قريش بفعل طول الاحتكاك بينهما.

٢- دوّن أصحاب المعجمات كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال مع المستعمل من الألفاظ، فصارت الألفاظ المهجورة مع الجديدة مترادفات لمسمى واحد.

٣- اختلاف اللهجات العربية فقد تسمى قبيلة الشيء باسم وتسميه القبيلة الأخرى باسم غيره، فعندما جمعت هذه الكلمات صارت مترادفة.

٤- لم يميز واضعو المعجمات بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فثمة كثير من المترادفات لم توضع في الأصل لمعانيها الحقيقية، بل كانت تستعمل في هذه المعاني استعمالاً مجازياً.

٣- المشترك اللفظي

المشترك -لغةً- مأخوذ من الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدُهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صِرْت شريكه. واصطلاحاً أن تكون اللفظة لمعنيين أو أكثر، وهو ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)). وأطلق القدامى على المشترك اللفظي عبارة: ((ما اتفق لفظه واختلف معناه)).

ومن أمثلة المشترك اللفظي ((الخال أخ الأم، والخال الذي في الوجه، والخال مصدر خلت ذلك الأمر أخالة خالاً ومخالة، وهو الظن منك للشيء، لم تحققه، والخال السحاب من المخيلة، والخال الكبر، وثياب الخال يمانية... والخال اللواء الذي يعقد)).

ومن أمثلة المشترك اللفظي كذلك ما قاله أبو العميثل الإعرابي: ((العين على ثلاثة عشر وجهاً، والعين هو النقد من دنانير أو دراهم، والعين مطر أيام لا يقلع، والعين عين البئر، وهو مخرج مائها. والعين القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها. والعين الفوارة التي تفور من غير عمل، والعين عين الإنسان، والعين عين الميزان، والعين عين الركبة)).

وكما وقع الخلاف بين اللغويين حول الترادف في اللغة، فأنكره بعضهم، نجد الأمر نفسه في المشترك اللفظي، فقد أنكره ابن درستويه، فقال: ((فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف، ثم جاء المعنيان مختلفين لم يكن بد من رجوعها الى معنى واحد، فيشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى)). وأنكر في موضع آخر أن يكون للفظ (وجد) من المعاني المختلفة ما رواه اللغويون فيه وهو العثور على الشيء والغضب والعشق، ((فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق، أن هذا لفظ واحد، وقد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أم شراً.

وأكثر اللغويين القدامى ذهبوا الى وجود المشترك اللفظي، ولم ينكروا وجوده، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ)، وأبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، وأبو عبيد (ت٢٢٤هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وابن الانباري (ت٣٢٨هـ)، وابن خالويه (ت٣٧٠هـ).

أسباب نشوء المشترك اللفظي

١- اختلاف اللهجات العربية: فقد جاءت كثير من ألفاظ المشترك اللفظي نتيجة اختلاف القبائل في استعمالها، وقد ضم أصحاب المعجمات هذه المعاني المختلفة للفظ، من غير أن ينسبوا كل معنى الى القبيلة التي كانت تستعمله.

٢- انتقال قسم من الألفاظ من معناها الأصلي الى معانٍ مجازية أخرى لعلاقة ما، ثم كثر استعمالها، حتى أصبح إطلاق اللفظ مجازاً في قوة استعماله حقيقة، من ذلك لفظة (العين).

٣- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة: إذ ربما كانت اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلالة مختلفة، وقد حدث هذا في العربية ففيها أن ((السَّكر نقيض الصحو وفيها أيضاً (كل شق سُدَّ فقد سُكر والسَّكر سد الشق)، فالمعنى الأول عربي والمعنى الثاني معرّب من الآرامية.

٤- تطور دلالات الألفاظ الإسلامية: فقد زادت معانٍ جديدة على ألفاظ قديمة لم تكن العرب تعرفها بهذا المعنى، منها: الكفر، والزكاة، والصلاة، والهدى، والربا.

٤- التضاد

التضاد ـ**لغةً**- هو النقيض والمقابل، و((الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل والشجاعة والجبن)). **واصطلاحاً** هو استعمال اللفظ الواحد للدلالة على الشيء وضده.

والتضاد نوع من المشترك اللفظي، فكل تضاد مشترك لفظي، وليس العكس.

ومن أمثلة الأضداد: **البسل**: الحلال، والبسل: الحرام، **الجون** يطلق على الأسود ويطلق على الأبيض، **والجلل** يدل على العظيم، ويدل على الهين واليسير. **والسليم** يقال: سليم للسليم، وسليم للملدوغ، **ويشري**: يدل على البيع ويدل على الشراء.

أما موقف اللغويين القدامى من الأضداد فقد انقسموا على قسمين:

أحدهما: يرى وقوعه في الكلام العرب، وقد ألّف بعض علماء العربية كتباً أحصوا فيها ما جاء في كلام العرب من الأضداد، من هؤلاء قطرب، والأصمعي، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، وابن الانباري، وأبو الطيب اللغوي، والصاغاني.

والآخر: ينكر الأضداد ومنهم ابن درستويه، قال: ((النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً، وانه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا إبطال الأضداد)). ومن المنكرين -أيضاً- الآمدي (ت٣٧٠هـ)، إذ ألف كتاباً في إنكار الأضداد.

أسباب نشوء التضاد

١- دلالة اللفظ في الأصل وضعه على معنى مشترك بين الضدين، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات بأحد المعنيين، ويتخصص بالمعنى المضاد في لهجة أخرى، فكلمة (الصريم) تقال لليل وتقال للنهار؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، وأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع.

٢- انتقال اللفظ من معناه الأصلي الى معنى آخر مجازي: فقد يكون اللفظ موضوعاً عند قوم لمعنى حقيقي، ثم ينتقل الى معنى مجازي عند هؤلاء أو عند غيرهم فيكون للتفاؤل، كإطلاق لفظ (الحافل) على الممتلئ وعلى الخالي، (السليم) على الملدوغ والمفازة على المهلكة، أو يكون لاجتناب التلفظ بما يكره، مثل إطلاق لفظ المولى على العبد مثلما يطلق على السيد، وإطلاق لفظ (البصير) على الأعمى.

٣- الخوف من الحسد: شاع الاعتقاد عند بعض القبائل بالسحر والإصابة بالعين فتركوا وصف الأشياء بالحسن والجمال خوفاً من الحسد فيقولون: (شوهاء) للفرس الجميلة، كما يطلقون ذلك على الفرس القبيحة، وذلك دفعاً للحسد عن الفرس الجميلة.

٤- احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين معاً: ثمة صيغ في العربية تستعمل للفاعل والمفعول، ومن هنا نشأ التضاد في كثير من معاني هذه الصيغ مثل الغريم: بمعنى الدائن والمدين، والقنيص بمعنى: القانص والمقنوص.